المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته الطيبين، وعلى تابعيهم، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد :

فقد روى الطبراني عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السبرات ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام وصلاة بالليل والناس نيام)[1] .

ولما يتضمن هذا الحديث من أمور عقدية، ومسائل تعبدية، فقد اخترت من مفرداته ثلاثتين، هما الأولى والثانية، ناقشتها لبيان آثارها وانعكاساتها على سلوكية المسلم، لعل الله ينفع بها كاتبها وقارئها، في التعرف على (مهلكات النفس ووسائل تقواها) والذي جعلته عنوانا لبحثي هذا الذي تضمن مقدمة ومبحثين وخاتمة .

أما المقدمة فقد بينت فيها سبب اختيار الموضوع، ومنهجية وخطة البحث، وفي المبحث الأول تحدثت عن أول ثلاث وردت في الحديث، وهي المهلكات؛ في ثلاثة مطالب، وهي الشح، والهوى، والعجب .

والثلاثة الثانية، وهي المنجيات، فجاءت في المبحث الثاني، وبثلاثة مطالب أيضا، وهي : العدل ، والقصد ، والخشية .

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان، فمني ومن الشيطان، ومنه استغفر الله وأتوب إليه .

وصل اللهم على عبدك ونبيك محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

الباحث

---

[1] المعجم الأوسط :الطبراني ، دار الحرمين ـ القاهرة ، ط ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله ٦ / ٤٧، والسيوطي في الجامع الصغير (١ / ٣١٣) رقم ٣٤٧٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٣٦

المبحث الأول

المهلكـــــات

المطلب الأول : الشح والبخل

المطلب الثاني : إتّباع الهوى

المطلب الثالث : الإعجاب بالنفس

المطلب الأول

الشح والبخل

الشح لغة : البخل، والضم وقيل هو البخل مع حرص، والشح أشد من البخل وهو أبلغ في المنع من البخل وقيل البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام وقيل البخل بالمال والشح بالمال والمعروف[١]، وهذا يدل على براءة من بذل المال والمعروف من الشح، فقد روى البيهقي بسنده عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (بَريء من الشح مَن أدى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائبة)[٢]، والشحيح إذا جبلت نفسه على الضن وإرادة عدم البذل للمال صار بخيلا ، ومن أجل ذلك جعل النبي ﷺ إنفاق الشحيح من أفضل الصدقات، لما يعانيه الشحيح من صراع مع نفسه عند إرادة البذل .

أما البخل، لغة: قرئ بلغتين : البُخْل والبَخَل، والبخل والبخول: ضد الكرم، والمبخلة: الشيء الذي يحملك على البخل[٣] .

وفي الاصطلاح فهو : قصد المنع وإيثار الشح وامتناع البذل في كل الوجوه[٤] .

وأما الشح في الاصطلاح : طبيعة خلقها الله تعالى في النفوس، كالشهوة، وحالة غريزية جبل عليها الإنسان فهو كالوصف اللازم له، ومركزها النفس، فإذا انتهى سلطانه إلى القلب، واستولى عليه عري القلب عن الإيمان، لأنه يشح بالطاعة فلا يسمح بها، ولا يبذل الانقياد لأمر الله[٥].

والشح خلق مذموم ممقوت لما فيه من عدم الحرص على القيام بحقوق الله على الوجه الذي أراد وشرع، وعدم القيام بحقوق العباد كالإنفاق، والحرص على جمع الأموال وكنزها، وقد يودي بالعبد إلى التظاهر بالفقر ليبتعد عن أعين الناس خشية مساعدة الفقراء أو خوفا من إكرام ضيف، وتوسعة النفقة على أبناءه وأهل بيته، وقد يحمل بخل الآباء أبنائهم على عدم التعفف من المسألة للحصول على ما يمتعوا به أنفسهم وفي ذلك مضيعة لنفسه ولهم، كما أن لسان حال البخيل ينبئ عن عدم القناعة

---

[١] ينظر : لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ـ بيروت ، ط ١ (د . ت) ٢ / ٤٩٥ .،
[٢] شعب الإيمان : احمد بن الحسين البيهقي : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤١٠ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني (٧ / ٤٢٧) برقم ١٠٨٤٢
[٣] لسان العرب : ابن منظور (١١ / ٤٧) مادة بخل .
[٤] الخلق الكامل : محمد أحمد جاد المولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د ت) ٤ / ٤٦٩
[٥] معجم الفروق اللغوية : ابو الهلال العسكري : مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ـ ط١ ـ ١٤١٢، (١ / ٢٩٦)

والشكر للمنعم، ولو كان كذلك لظهرت آثار الغنى عليه، الواجب إظهارها، وهذا ما خاطب به النبي ﷺ مالك بن نظلة الجُشميُّ رضي الله عنه لما رآه على هيئة غير محمودة وظنه شحيحا، يقول : (دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة فقال : هل لك من شيء؟ قلت: نعم من كل المال قد آتاني الله، فقال: إذا كان لك مال فليُرَ عليك)[١] .

والشح والبخل مدعاة إلى الهلكة، ذلك أنهما قد يكونا سببا إلى القتل والسلب والنهب وظهور الفساد في المجتمع لأن عدم الإنفاق على الفقراء والمحتاجين والتوقف بسببه عن إخراج الزكاة، قد يقودهم ذلك مع عدم وجود الوازع الديني إلى القتل والسلب والنهب .

ومع كون الشح والبخل خلقان ذميمان منقصان من خلق وإيمان العبد إلاّ أن الشح أبلغ من البخل لأن البخيل يمتنع فقط من بذل ما يجب عليه، لذلك سمى نبينا ﷺ من لم يصل عليه عند ذكره بخيلا :(البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ)[٢] لأنه امتنع عن بذل ما يجب عليه من حق للنبي ﷺ ، لذلك لا يسمى من أدى حقوق الله ورسوله بخيلا، أما الشحيح فمع امتناعه عن البذل، يطمع في ما بين يدي غيره وقد يقوده ذلك إلى سلوك المسالك المنحرفة لتحقيق رغبته: (إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما)[٣] لذلك رتب ربنا سبحانه فلاح النفس البشرية على النجاة من هذا الخلق الذميم (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤]

والشح داء عضال يصيب السلوك الإنساني ويودي بالنفس البشرية إلى التيه في دهاليز الشقاء والهلكة في الدنيا، حتى يقال داء الشح أشد الأدواء[٥] وهو مرض ملازم للنفس بطبيعتها الفطرية أخبر به ربنا سبحانه بقوله (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ)[٦]،

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية الأولى : (جبلت الأنفس على الشح والبخل)[٧] وقال فيها القرطبي :(إخبار بأن الشح في كل أحد وأن الإنسان لا بد أن أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره)[١]

---

[١] سنن الترمذي ٤ / ٣٦٤ رقم ٢٠٠٦، قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح

[٢] المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم ،دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤١١ تحقيق: مصطفى عبد القادر ١ / ٧٣٤، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي في سننه (٥ / ٥٥١) وقال : حسن صحيح غريب .

[٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت ، ط ـ ١٤٠٥ (٢٨ / ٤٣)

[٤] سورة الحشر : الآية ٩

[٥] لسان العرب : ابن منظور ١ / ٧٩

[٦] سورة النساء : الآية ١٢٨

[٧] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : الفيروز آبادي : دار الكتب العلمية ـ بيروت (د ت) ١ / ٨١

فلا بد إذا من الحذر من الوقوع في هذا المسلك المشين الذي يودي بصاحبه لا محالة إلى الوقوع في الغي وانتهاك حرمات الله وهذا ما حذر منه نبينا ﷺ بقوله : (إتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا أعراضهم)[٢]، إذن فداء الشح قد أهلك كثيرا من الناس وحملهم على سفك الدماء وانتهاك الحرمات والتجاوز لحدود الله، وما يقترف ذلك إلا من خلا قلبه من الإيمان بالله سبحانه، لأن الشح والإيمان نقيضان لا يجتمعان في قلب عبد كما أخبر بذلك محمد ﷺ بقوله : (... ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا)[٣] ، لأن الذي يمنع الشحيح من الإنفاق والجود خوف الفقر، وهو جهل بالله وعدم وثوق بوعده، وقال ﷺ (ليس المؤمن الذي يبيت وجاره إلى جنبه جائع)[٤] فالشح ينافي الإيمان الذي يقود إلى الفضيلة، والذي بزيادته تزداد في نفس المرء مراتب الفضيلة كالجود بالمال والنفس والجاه، وأما الشح فيقود إلى كل رذيلة فيمتنع المرء بسببه من بذل المعروف والإحسان حتى على نفسه وعلى من يعول (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ)[٥] فالذي منعه حرصه وبخله من الإنفاق إنما وقع ضرره على نفسه، بحرمانها من الأجر والثواب في الآخرة، وأكسبها سخط الله والبعد عن جنته (السخي قريب من الله بعيد من النار قريب من الجنة قريب من الناس والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل السخي أحب إلى الله عز وجل من العابد البخيل)[٦]، ومنع عن ماله موعود الله بالزيادة والبركة لعباده المنفقين في سبيله، ولو كان مؤمنا حقا لعلم أهمية الإنفاق والكرم والجود، وأنه ينمي المال ويزيد بركته ولصدق بوعد الله للمنفقين في الحديث القدسي : (يا ابن آدم أنفق، أنفق عليك)[٧]، ولصدّق أن ماله لم يعتريه

---

[١] الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة (د . ت) ٥ / ٤٠٦

[٢] صحيح مسلم :: تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ٤ / ١٩٩٦ رقم ٢٥٧٨

[٣] المجتبى من السنن : أحمد بن شعيب النسائي : تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ، ط ٢ ـ ١٤٠٦ (٦ / ١٣)، قال المحقق: قال الشيخ الألباني : حديث صحيح

[٤] المستدرك على الصحيحين : الحاكم ألنيسابوري (٤ / ١٨٤) برقم ٧٣٠٧ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،

[٥] سورة محمد : الآية ٣٨

[٦] المعجم الأوسط :الطبراني ، دار الحرمين ـ القاهرة ، ط ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله (٣ / ٢٧) ، قال فيه الذهبي في التلخيص (١ / ٢٠١) : تفرد به سعيد بن محمد الوراق ـ وليس بثقة ـ عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة ، ورواه الترمذي (٤ / ٣٤٢) وقال : حديث غريب، لا نعرفه بهذا الطريق إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد .

[٧] صحيح مسلم ٢ / ٦٩٠ رقم ٩٩٣

النقص بسبب الإنفاق لأن الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ يقول : (ما نقصت صدقةٌ من مال)[١]، ولكن البخل ينافي صدق الإيمان .

بل أن الله سبحانه يبين حال أهل الشح أنهم لشدة حرصهم؛ على استعداد حتى بالبخل برزق الله على عباده لو كانت مفاتيح الرزق بأيديهم، خشية الفقر ذلك أن قلوبهم قد خوت من التوكل على الله واتجهت إلى التصديق بوعود الشيطان : (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ)[٢]، يقول الطبري في تفسير هذه الآية : (لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال وعنى بالرحمة في هذا الموضع المال إذا لأمسكتم خشية الإنفاق يقول إذن لبخلتم به فلم تجودوا بها على غيركم خشية من الإنفاق والإقتار)[٣] .

لقد تبين لنا مما سبق أن الشح والإيمان نقيضان لا يجتمعان في قلب العبد فكيف ينتفي الإيمان عن الشحيح بهذا الخبر ؟

من المعلوم من الدين بالضرورة أن جامع الإيمان في قلب العبد يدور بين خبر واجب التصديق، وأمر واجب التنفيذ، وامتناع أحد الأمرين في القلب يعني انتفاء الإيمان فيه، والشحيح الذي ضنّ بماله ومنعه عن مستحقيه واحتبسه عن سبل الله، لم يكن ليفعل ذلك لو أنه قد آمن وصدق خبر الله الذي يقول به : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[٤] ، وكيف يهنئ الشحيح بعيشه، ويتفاخر بجمع ماله ـ لو كان مؤمنا حقا ـ وهو يسمع الخبر عن الله أن البخل بالمال ضرر في الدين والدنيا، وسوء المآل يوم القيامة : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[٥] ، وما سواها في كتاب الله كثير.

كما انه من لوازم الإيمان برسولنا ﷺ قبول وصاياه، وتصديق الأخبار التي جاء بها، والشحيح لو صدق خبره الذي يقول : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان

---

[١] المصدر السابق ٤ / ٢٠٠١ رقم ٢٥٨٨
[٢] سورة الإسراء : الآية ١٠٠
[٣] جامع البيان : الطبري (١٥ / ١٧٠)
[٤] سورة سبأ : الآية ٣٩
[٥] سورة آل عمران : الآية ١٨٠

ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا)[١] ، لكان ذلك وازعا في قلبه يدعوه إلى المسارعة بالبذل مما وسع الله عليه، بل الأدهى من ذلك والأمرُّ أن لسان حال الشحيح فيه تصديق لوعود الشيطان الذي يخوف الإنسان الفقر بسبب الإنفاق، وتكذيب لخبر الله الذي يَعِدُ المنفقَ في سبيله بالإخلاف وبالمضاعفة أضعافا كثيرة .

وبعد أن تبين لنا فيما سبق المنافاة بين الإيمان والشح في قلب العبد، ترى ما هي عواقبه على المرء في الدنيا والآخرة ؟

معلوم أن الشح شر على صاحبه في الدنيا، يقول ﷺ : (شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع)[٢] ، فهو بسبب شحه جزع لعدم قناعته بما آتاه الله من فضله فهو يسعى دائما إلى المزيد، وجزع إذا قل ماله، وحزين لما يرى في أيدي الناس من الخير متمنيا زواله وذهابه، ويترتب عن ذلك الحزن والجزع أن يصاب بآفة الحسد التي ستكون سبب ذهاب حسناته، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ (إيّاكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[٣]، والسعيد من عافاه الله من هذا الداء العضال الذي كان رسول الله ﷺ يكثر الاستعاذة بالله منه، والذي بالسلامة منه يتمكن العبد من القيام بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له، قرير العين هادئ القلب، قانعا فيما آتاه الله من رزقه، منصرفا لأداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى .

ومن آثاره أنه سبب من أسباب زوال النعم عنهم، فإذا بخل الناس وشحوا بحق الفقراء والمساكين، عاقبهم الله في دنياهم بزوال هذا المال، فقد قص ربنا سبحانه لعباده قصة أصحاب الجنة الذين تآمروا فيما بينهم ليلا على الخروج إلى بستانهم خفية لئلا يعلم الفقراء بمخرجهم، فكان عاقبة مكرهم (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)[٤]

فجازاهم الله من جنس عملهم وحرمهم كما حرموا الفقراء والمساكين .

---

[١] الجامع الصحيح المختصر : محمد بن اسماعيل البخاري : دار ابن كثير ـ اليمامة ، بيروت ، ط٣ ـ ١٤٠٧ ، تحقيق : مصطفى ديب البغا (٢ / ٥٢٢) حديث رقم ١٣٧٤

[٢] سنن ابي داود : سليمان بن الأشعث ، دار الفكر ـ بيروت (د . ت) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (٣ / ١٢) رقم ٢٥١١

[٣] سنن ابي داود ٤ / ٢٧٦ حديث رقم ٤٩٠٣

[٤] سورة القلم : الآيات ١٩ ـ ٢٠

أما في الآخرة فالشح سبب لعذاب النار (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)[١] .

ويقول النبي ﷺ : (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك)[٢] .

ومن آثار الشح والبخل على العبد يوم القيامة الحرمان من الإستظلال في ظل الرحمن يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، ومن السبعة المستظلين به، المنفق الذي لم تعلم يمينه بما أنفقت شماله، والمنفق أيضا في ظل صدقته يوم القيامة والبخيل محروم من ذلك، يقول النبي ﷺ : (كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال حتى يحكم بين الناس)[٣] .

---

[١] سورة التوبة : الآيات ٣٤ ـ ٣٥

[٢] صحيح البخاري ٤ /١٦٦٣ رقم ٤٢٨٩

[٣] المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري (١ / ٥٧٦) رقم ١٥١٧ ، وقال صحيح على شرط مسلم

المطلب الثاني

إتباع الهوى

الهوى : محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه[١]

ويمكن القول فيه أنه كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد، فالهوى ميل النفس إلى الشهوة، ثم يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية

وفي الاصطلاح: الهوى مرض خطير يصيب النفس البشرية فيهلكها، لأنه يمنع صاحبها من الإستجابة لأمر الله وأمر رسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [٢] ، ومن لم يستجب لهذه الدعوة وينفذ هذا الأمر لا بد أنه قد منعه هواه (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٣]

إن من أعظم دواعي الضلال وأسباب الهلاك، إتباع الهوى، فإنه يهوي بصاحبه إلى المهالك حتى يورده النار، فقد روى الخلال عن الشعبي أنه قال : (سمى الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار)[٤]، فصاحب الهوى إذا دخل قلبه، وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان.

لقد بين ربنا حال عباده يوم القيامة أنهم على فريقين، إمّا متبع لهواه فهالك وإمّا ناه لنفسه عن غيها وهواها فناج (فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[٥]

ويقينا ما أقدم صاحب معصية ـ وهو يعلم يقينا أنها معصية ـ على معصيته مستحلا لها، أو جاهلا بحرمتها وبما يصيبه من ضرر بسببها في دنياه وآخرته،

---

[١] لسان العرب : ابن منظور ١٥ / ٣٧٤
[٢] سورة الأنفال : الآية ٢٤
[٣] سورة القصص : الآية ٥٠
[٤] سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٧ ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ١ / ١٢٠
[٥] سورة النازعات : الآيات ٣٧ ـ ٤١

ولكن دافع الهوى في النفس التواقة إلى إشباع رغباتها ـ يصاحبها تزيين الشيطان لهذه المعصية ـ هو الذي رغبها إلى نفس العاصي فأقدم عليها، فهل يُعقلُ أن يجهل مسلمٌ حرمة الربا، والرشوة، والظلم، وشرب الخمر، وهل يُصدّقُ مسلمٌ من يخبره بحل الزنا، وقتل النفس التي حرم الله، لكنه سلطان الهوى الذي يورث الذل والهوان بل هو الهوان بعينه، كما قال ابن المقفع لما سئل عن الهوى: (هوان سرقت نونه فنظمه شعر فقال :

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا)[١]

إن من أخطر الأهواء على المجتمع المسلم، هوى الابتداع في الدين والابتعاد عن مراد الشارع الحكيم، لأنه يودي إلى الفتنة والضلال، ولخطورة هذا الداء القاتل فقد حذر ربنا سبحانه أنبياءه من الميل إلى هوى الناس .

ومما أخبر به سبحانه في الكتاب العزيز خطابه لنبيه لداود عليه السلام (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)[٢]

وقوله لنبيه محمد ﷺ (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)[٣]

فإتباع الهوى هو أصل الضلال والكفر، ومعلوم أن ذلك يتفاوت تفاوتاً عظيماً، فمن إتباع الهوى ما يوصل إليهما، ومنه ما هو أقل من ذلك، وكل من خالف الحق لا يخرج عن إتباعه للهوى أو الاعتماد على الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، كما قال تعالى : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)[٤] فإن كان يعتقد أن قوله صحيحاً وله فيه حجة يتمسك بها فغايته إتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئا وتكون حجته شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها، وعلى هذا ذم الله اليهود لإتباعهم لأهوائهم، حيث قادهم ذلك إلى تبديل شرع الله والكفر بالرسول ﷺ، وما جاء به من الوحي .

فإتباع الهوى يضل الإنسان عن الحق وإن كان يعرف ذلك، فإذا صار الهوى هو القائد والدافع صار أصحابه شيعا يتعصب كل واحد لرأيه ويعادي من خالفه، ولو

---

[١] ذم الهوى : ابو الفرج ابن الجوزي : ط ١٩٦٢ ، تحقيق :مصطفى عبد الواحد (١ / ١٦)
[٢] سورة ص : الآية ٢٦
[٣] سورة المائدة : الآية ٤٩
[٤] سورة النجم : الآية ٢٣

كان الحق معه واضحا لأن الحق ليس مطلوبه، يقول ابن تيمية : (وهذا قد ابتلي به طائفة من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه ... وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو انتمى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه)[١]

ولا ريب أن ذلك سبيل مذلة، وسبب لذهاب ريح الجماعة، لأنه قادهم إلى الفرقة وأصبحوا تتحكم فيهم الأهواء، وصاروا كلما علم أحدهم أن من يخالفه قد تكلم في مسألة أو موضوع تجده يبادر إلى الرد عليه بدون تأمل في قوله وتلمس لوجه الصواب، ، ويبذل جهده في تضليله، وتفنيد رأيه بكل ما يستطيع، ولو برأي تافه وتعسف بغيض، مع أن الذي يوجبه الإسلام هو محادثة المخالف والاطلاع على دلائله، ووزنها بميزان الكتاب والسنة . ثم يكون ذلك هو المنهي للنزاع، كما قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[٢]

فقد نفى ربنا بذلك الإيمان عمن اتبع الهوى ولم يحكم الشريعة فيما يختلف فيه هو وغيره، ثم يسلم لحكمهما وينقاد له بدون تبرم أو ضيق صدر بذلك، بل لا بد من الرضا به والتسليم له مطلقا وإلا فهو في طريق التيه سائر ولسبيل الغي متبع، وقد أخبر نبينا ﷺ أنه بريء ممن هذا ديدنه، فقد روى الطبراني بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها: (يا عائشة: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب الأهواء، وأصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم مني براء)[٣]

ولما كان صاحب الهوى قد أعماه هواه عن رؤية الحق وأصمه عن سماعه، فهو لا يستحضر ما لله ورسوله، ولا يطلب ذلك، بل يرضى إذا حصل ما يهواه ويريده، ويغضب إذا خولف هواه، ويكون مع ذلك عنده شبهة دين وعلم، أو أنه يعمل على إتباع السنة ونصرة الدين والواقع خلاف ذلك، ولله در القائل في ذم الهوى[٤] :

---

[١] اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، وزارة الاوقاف ، السعودية ، ط١ ـ ١٤٢٤ ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل (١/ ٥٩)

[٢] سورة النساء : الآية ٦٥

[٣] الروض الداني (المعجم الصغير) : ابو القاسم الطبراني : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد شكور محمود (١ / ٣٣٨) ، وقال : لم يروه عن شعبة إلا بقية تفرد به بن مصفى وهو حديثه، وقال ابن كثير في تفسيره : رواه ابن مردويه، وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه .

[٤] البيتان منسوبان لعبد الله بن المبارك : ينظر كتاب ذم الهوى لأبن الجوزي ١ / ٣٤

ومن البلاء وللبلاء علامة ... أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواته ... والحر يشبع تارة ويجوع

وحتى لو قدر أن الذي معه هو الحق المحض لكان قصده الانتصار لنفسه ولغرضه، ولم يقصد أن يكون الدين كله لله وكلمة الله هي العليا بل قصده الحمية لنفسه ولطائفته أو قصده الرياء ليعظم ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعا، أو لغرض من أمور الدنيا لم يكن لله ولا في سبيله، وفي ذلك يقول ابن الجوزي : (وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء)[١] .

الموقف من أهل الأهواء :

من المعلوم أن متبع الهوى لا بد أن يضل، سواء عن علم أو عن جهل، فإنه كثيراً ما يترك العلم إتباعا لهواه، ولا بد أن يظلم إما بالقول أو بالفعل، لأن هواه قد أعماه، ولما كان صاحب الهوى في مسائل العقيدة والدين ضرره متعد إلى الغير، فقد حذر السلف عن مجالسة ومخالطة وسماع من هذه صفته، بل قبل ذلك حذر ربنا نبيه ﷺ من السير وراء أهواء المضلين الذين حاولوا إبعاده عن صحبة فقراء المسلمين، فقال سبحانه (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)[٢]

قال أبو قلابة[٣] : (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون)[٤] .

وكما قد أمر النبي ﷺ بالحذر من أهل الأهواء متبعي متشابه القرآن من أجل الفتنة في الدين، فقد روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما قرأ الآية من سورة آل عمران قال : (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[٥] وروي عن أبي جعفر، محمد بن علي قوله : (لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله)[٦]

---

[١] المصدر السابق ١ / ١٦
[٢] سورة الكهف : الآية ٢٨
[٣] عبد الله بن يزيد البصري، ابو قلابة الجرمي،من عباد أهل البصرة وزهادهم، روى عن كثير من الصحابة، وكان من كبار الأئمة والفقهاء، طلب للقضاء فهرب منه وتغرب، قدم الشام، فنزل داريا حتى مات بها سنة أربع ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك (البداية والنهاية ٩ / ٢٣١ ، الثقات ٥ / ٢)
[٤] سنن الدارمي ١ / ١٢٠
[٥] سنن ابو داود ٤ / ١٩٨ رقم ٤٥٩٨
[٦] سنن الدارمي ١ / ١٢١

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (احذروا مجالسة من يلبس عليكم دينكم ويوقع الشك في قلوبكم ويشككم في ربكم فإن أهل الأهواء قد صيرتهم المذاهب إلى المذاهب القبيحة والآراء فأخذت بهم إلى المهالك فزاغوا عن سبيل الله)[١]

ونقل اللالكائي عن أبي العالية[٢] قال : (تعلموا الإسلام ولا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا الإسلام يمينا ولا شمالا وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء)[٣]

---

[١] الإبانة : ابن بطة ا :دار الراية ، الرياض ، ط٢ ـ ١٤١٨ ، تحقيق : د عبد الله عثمان الأثيوبي (٣ / ١٩٤)

[٢] رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري مولى امرأة من بني رياح بن يربوع حي من بني تميم اعتقته سائبة سائبة أدرك الجاهلية واسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ، دخل على ابي بكر وصلى خلف عمر، كان إماما في القرآن والتفسير والعمل، وكان يقول ما أدري أي النعمتين علي أفضل ان هداني للإسلام أو لم يجعلني حروريا ، مات يوم الأثنين الثالث من شوال سنة تسعين ، وقيل ثلاث وتسعين (تهذيب الكمال ٩ / ٢١٤ ـ ٢١٨ ، معرفة القراء الكبار ١ / ٦١)

[٣] اعتقاد أهل السنة : اللالكائي: دار طيبة ، الرياض ط ـ ١٤٠٢ ، تحقيق : د أحمد سعد حمدان ١ / ٥٦

المطلب الثالث

العُجْبُ بالنفس والكبر

العُجْب: بضم العين، وسكون الجيم: الزهو، ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حسنا أو قبيحا، وقيل المُعجب الإنسان المعجب بنفسه أو بالشيء وقد أُعجِبَ فلان بنفسه فهو معجب برأيه وبنفسه[١] ، وقال ابن القيم : (العجب أصله رؤية الإنسان نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه وإعانته)[٢]

والعَجَب : بفتحتين، حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء[٣] ، والتعجب هو الدهش من الشيء الخارج عن نظائره المجهول سببه .

وفي الاصطلاح: عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها وليست هي لها[٤].

أما الكِبْر: فقد عرفه النووي بأنه: (الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق)[٥]

والكبر والتكبر وليد العجب: وهو الترفع واعتقاد الإنسان أنه أكبر مرتبة وفضلا وجاها من الناس، ولكونه خلق باطن فإن ثمراته ونتائجه تظهر من خلال السلوكيات التي يتصرفها المتكبر .

العجب بالنفس والكبر خصال مذمومة أمر ربنا عباده بالإبتعاد عنها (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[٦] ، بل وعد الرحمن عباده النابذين لهذا الخلق الذميم بأن لهم الدار الآخرة (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[٧]

إن تزكية النفس وتربيتها أمر مهم غفل عنه الكثير من العاملين، ذلك أن الشيطان الذي توعد بني آدم بالغواية يحاول نزع الإخلاص من قلوب العاملين ليدخلهم في ظلمات الرياء والسمعة والعجب بالنفس، حتى يبدأ العامل بالحديث عن كثرة أعماله وما قدم لهذا الدين، ويتحدث عن صيامه وصلاته ونفقاته وما سواها من الأعمال

---

[١] ينظر لسان العرب ١ / ٥٨٢

[٢] الفوائد : ابن القيم ، دار الكنب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ـ ١٣٩٣ ، (١ / ١٥٣)

[٣] التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤١٠ تحقيق : محمد رضوان الداية (١ / ٥٠٤)

[٤] الفروق اللغوية : ابو الهلال العسكري (١ / ٣٥٢)

[٥] صحيح مسلم بشرح النووي : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ـ ١٣٩٢ (٢ / ٩١)

[٦] سورة لقمان : الآية ١٨

[٧] سورة القصص : الآية ٨٣

رغبة منه في ذكره على ألسنة الناس ورفع مقامه ومكانته بينهم (وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس)[١] .

إن إعجاب المرء بنفسه ما هو إلى مزلة من مزلات الشيطان وقع بها المسلم العابد وغير العابد ونتيجة لذلك فهو في شغف إلى المدح والثناء من قبل الناس، وإذا ما ذكر فتراه يطل برأسه وترتفع هامته وتشرف نفسه إلى كلام المادح له، أو ثناء المجلس عليه، فيغلب السرور والارتياح عليه وتظهر الطلاقة عليه بحسن موقعه عند الناس ولم يملك النفس حتى يقلبها هذا السرور، ويخرج بها إلى العجب المذموم وإلى أن يقول أنا فيقع في ضعة الكبر من حيث لا يشعر ويظهر عليه من إمارته ما يذم لأجله ويحقر فما كبر أحد في نفسه إلا أغان الكبر عقله وفسخ عقده من أجله وهذا موقف تزل فيه الأقدام، إلا من عصمه الله .

ويمكن أن يعزى سبب ذلك إلى ضعف الإيمان عند الشخص، وقلة العلم بأن الكبر لا ينبغي أن يتصف به مخلوق، لأن هذه الصفة تفرد بها رب العزة سبحانه، كما أخبر ربنا في الحديث القدسي : (العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد منهما قذفته في النار)[٢] ولا شك أن في ذلك مفسدة لأعمال العبد ومهلكة له، يقول ابن القيم : (لا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس، فإذا أراد الله بعده خيرا أشهده منته وتوفيقه وإعانته له في كل ما يقوله ويفعله فلا يعجب به ثم اشهده تقصيره فيه)[٣]

وهذا يدل على أنه لا شيء أصلح للنفس البشرية من شهود العبد منة الله وتوفيقه والإستعانة به والإفتقار إليه وإخلاص العمل له، وعدم الإكتراث لعبارات المادحين، وإطراءات المتملقين ـ التي تبدو كأنها منفاخ ينفث في روع العبد أنه هو هو وما سواه عدم ـ حتى تشفى نفسه من داء العجب والرياء وتنجو من هفوات التعالي والكبر الذي يودي بها إلى الهاوية .

لقد كان سلف الأمة أشد حذرا وتحذيرا من آفات النفس ومزلاتها، فهذا أبو حنيفة يقول : (من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه وقد قال الكريم ابن الكريم (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)[٤])[١] .

---

[١] تفسير القرطبي : ٢٠ / ٢١٢
[٢] سنن أبي داود (٤ / ٥٩) رقم ٤٠٩٠
[٣] الفوائد : ابن القيم ١ / ١٥٢ ـ ١٥٣
[٤] سورة يوسف : الآية ٥٣

وقال أبو عبد الرحمن السلمي[٢] : (آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه)[٣] .

لقد أدخل الشيطان إلى النفس البشرية العجب من طرق شتى، فهذا معجب بعبادته وحسن تلاوته للقرآن، وذاك أعجب بماله وولده، وآخر أعجب بجاهه وسلطانه، ورابع دخل عليه الشيطان من هيئته وملبسه، وهلم جرا، فقد أخبر النبي ﷺ عن ما حل برجل تفاخر بهيئته: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمّته، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)[٤]، فهذا المخلوق الضعيف قد أعجبته نفسه وشعر بالزهو والعظمة لما لبس حليته التي أبيح له ارتدائها والتزين بها والظهور بها بحسن الهيئة بلا تفاخر ولا علو، فتبختر وتمايل، وشعر أنه أفضل ممن حوله، فأصابه ما أصابه .

وقد يودي عجب الإنسان بملكه وماله وجاهه وسلطانه إلى الترفع والتعاظم حتى يكون جبارا في الأرض لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا لأنه سوف يطبع على قلبه :(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[٥] وعن أولئك يخبر النبي ﷺ (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم)[٦] ، وما حل بفرعون من العذاب إلا بسبب الكبر والعجب بالسلطان والمال فها هو يتفاخر أمام قومه الذين ازدراهم واحتقرهم وأذلهم بقوله : (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[٧]، وهو متيقن بأن الحق هو ما جاء به موسى عليه السلام من عند الله، إذ قال (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)[٨]، وهذا بلعام بن باعوراء، وهو رجل من أهل البلقاء، وقيل من أهل اليمن، وكان من علماء بني إسرائيل يعلم الأسم الأكبر وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين آتاه الله آياته فتركها، وقيل أنه كان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى عليه

---

[١] المقاصد الحسنة : ابو الخير السخاوي : دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٥، (١ / ١٢٠)

[٢] مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج قرأ عليه عاصم بن أبى النجود وخلق غيره توفى بالكوفة سنة ٧٤ هـ (البداية والنهاية ٩ / ٦)

[٣] الزهد الكبير : البيهقي: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، ط ٣ ـ ١٩٩٦، تحقيق : احمد عامر حيدر ١ / ١٥٤

[٤] الجامع الصحيح : البخاري ٥ / ٢١٨٢ رقم ٥٤٥٢

[٥] سورة غافر : الآية ٣٥

[٦] سنن الترمذي : أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر (٤ / ٣٦٢) رقم ٢٠٠٠

[٧] سورة الزخرف : الآية ٥١

[٨] سورة الإسراء : الآية ١٠٢

السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأطعمه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام[١] فاستهواه الشيطان من قِبَل علمه فأوقعه في شَرَك العجب فهلك وجعله الله مثلا وآية (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٢]

وما امتناع إبليس عن الإمتثال لأمر الله بالسجود تحية لآدم عليه السلام عند إتمام وإكمال خلقه إلا العجب بنفسه وبخلقته، حيث نظر إلى نفسه وقد خلق من النار، ونظر إلى آدم وقد خلق من طين فقال متكبرا عليه (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)[٣] ، فكانت نتيجة هذا العجب لعنة في الدنيا وخلود في جهنم يوم القيامة .

وقارون وصاحب الجنتين لما أعجب كل منهما بما آتاه الله من مال، أصابهما الغرور فتعالوا على خلق الله، واسندوا ما كسبوا إلى صنيع أنفسهم غير شاكرين للمنعم الحق، وفي هذا الموضع أود أن أذكر بما نقلته آنفا عن ابن القيم : (العجب أصله رؤية الإنسان نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه وإعانته)، فصاحب الجنتين قال لصاحبه الفقير (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)[٤] ، وقارون قال (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)[٥] ثم ازداد إعجابه بنفسه (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)[٦] ، وكانت نتيجة هذا العجب أن حل بهما ما قص البارئ سبحانه على عباده في كتابه العزيز .

فالعجب مرض مهلك تصاب به النفس البشرية، ولا بد من البحث عن دواء ناجع وعلاج نافع فوجدته عند الفقيه أبي الليث السمرقندي حيث يقول : (من أراد أن يكسر العجب، فعليه بأربعة أشياء [٧]:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإن رأى التوفيق من الله، فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب بنفسه .

---

[١] تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، ط ٢ ـ ١٤١٨ (٢ / ٣٥١ ـ ٣٥٢)
[٢] سورة الأعراف : الآيتان ١٧٥ ـ ١٧٦
[٣] سورة ص : الآية٧٦
[٤] سورة الكهف : الآية ٣٤
[٥] سورة القصص : الآية ٧٨
[٦] سورة القصص : الآية ٧٩
[٧] تنبيه الغافلين:نصر بن محمد الحنفي، الفقيه أبو الليث السمرقندي، مكتبة الصفا ـ القاهرة، ط٢ـ ١٤٢٢، تحقيق: تحقيق: احمد بن شعبان بن أحمد (١ / ٣٤٣)

الثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه واشتغل بالشكر عليها، استقل عمله، ولا يعجب بنفسه .

الثالث: أن يخاف أن لا يتقبل عمله منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه .

الرابع: أن ينظر إلى ذنوبه التي أذنب قبل ذلك ، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر عجبه .

ومن نواتج العجب بالنفس، الكبر وهو آفة فتاكة أخرى تصاب بها النفس تمنع بسببه من دخول الجنة، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)[١] ، كذبوا بآيات الله استكبارا وبطرا فمنعوا من دخول الجنة، فلا ينبغي لعبد أن يتحلى بهذا الخلق السيئ لأنه منازع لله في صفة لا تنبغي إلا له وحده سبحانه، ويقول نبينا ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.... الكبر بطر الحق وغمط الناس)[٢] .

وبطر الحق هو رده والإعراض عنه وهو كتاب الله وسنة رسوله وسببه الإعتزاز بالنفس والرأي، فيكون المتكبر مستبدا برأيه وإن تيقن أنه على غير الصواب تأخذه العزة بالإثم من أجل أن لا يقال عنه أنه قليل العلم والمعرفة، وعرفه النووي بأنه : (دفع الحق وإنكاره ترفعا وتجبرا)[٣] .

أما غمط الناس فهو احتقارهم، والتعاظم والتعالي عليهم بسبب المال والجاه والسلطان متناسيا أصل خلقته ولم خلق وأنهم بشر مثله، وبسبب هذا التالي سيذل أمامهم يوم القيامة، يقول النبي ﷺ (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن من جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[٤] .

ولما كانت هذه عواقب العجب والكبر، فالواجب على العباد أن يعرفوا قدر أنفسهم ومهما بلغوا من الجاه والملك والعز والسلطان والقوة، فليتذكروا أصل خلقتهم، روى الذهبي في السير أن ابن الشخير[٥] رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له أتعرفني قال

---

[١] سورة الأعراف : الآية ٤٠

[٢] صحيح مسلم (١ / ٩٣)

[٣] صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٩٠)

[٤] سنن الترمذي (٤ / ٦٥٥) رقم ٢٤٩٢

[٥] مطرف بن عبد الله بن الشخير، الامام القدوة الحجة أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، حدث عن أبيه وعن وعن جمع من الصحابة منهم علي وعمار وابي ذر وعائشة، حدث عنه الكثير منهم الحسن البصري وثابت

نعم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة فقال المهلب الآن عرفتني حق المعرفة)[١]

وخير ما نظم في ذلك ما نقله القرطبي[٢] عن ابن الوراق :

عجبت من معجب بصورته وكان في الأصل نطفة مذرة
وهو غدا بعد حسن صورته يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة

اللهم نجنا من العجب والكبر واجعلنا متواضعين لك نبوء بنعمك ونشكرك عليها

البناني وقتادة، رجح الذهبي مولده عام بدر أو عام أحد ، أما وفاته فكانت سنة ست وثمانون (سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ٤ / ١٨٧ وما بعدها)

[١] سير أعلام النبلاء : الذهبي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٩ ـ ١٤١٣، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي (٥ / ٣٦٣)

[٢] تفسير القرطبي : ١٨ / ٢٩٥

المبحث الثاني

المنجيات (وسائل التقوى)

المطلب الأول : **العدل في الغضب والرضى**

المطلب الثاني : **القصد في الفقر والغنى**

المطلب الثالث : **خشية الله في السر والعلانية**

المطلب الأول

العدل في الغضب والرضى

العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور ، والعدل : هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم[١] ، وقال سفيان بن عيينة العدل : هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا[٢] ، وقيل العدل وهو الإنصاف ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على إفضاله وتولي الحمد أهله[٣] .

من المنجيات لبني آدم من المهالك في الدنيا والآخرة؛ العدل في كل شيء وعلى جميع الأحوال، في حال الغضب والرضى، والفقر والغنى، والعسر واليسر، والصحة والسقم، وأن يكون العدل بالقول والعمل، والسعيد من وفقه الله لذلك .

وليس من العسير على الإنسان أن يعدل في حال رضاه، ولكن هل يمكن العدل في حال الغضب ؟

معلوم أن الغضب مرض يصاب به كثير من الناس ممن لا يستطيعون التحكم بأنفسهم فتصبح الحياة معهم جحيم لا يطاق ، بسبب عدم تحملهم وسرعة ثورانهم لأتفه الأسباب مما قد يسبب فرقة بين الرجل وأهله ، أو القطيعة بين الناس ، وذلك بسبب ما يبثه الشيطان في قلب ذلك الشخص فيشحنه ويدفعه لارتكاب بعض الأمور التي سيندم عليها صاحبها فيما بعد ، وهذا مما لا شك فيه أنه جهل ينبغي لمن اتصف به أن يروض نفسه ويعودها على التحمل والصبر والجلد ، بل يجب عليه أن يكظم غيظه ويحبسه حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه ، ولقد أنزل الله في كتابه العزيز شفاءً لذلك الداء ، فقال (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٤] .

وكذلك فقد حذر النبي ﷺ من الغضب وأوضح كيفية الخلاص منه والعلاج اللازم لذلك، قال سليمان بن صرد رضي الله عنه[٥] : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان ، أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : (إني لأعلم كلمة لو قالها

---

[١] لسان العرب : ابن منظور ، (١١ / ٤٣٠)
[٢] تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (٢ / ٧٦٩)
[٣] تفسير الطبري : (١٤ / ١٦٢)
[٤] سورة فصلت : الآية ٣٦
[٥] سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حرام الخزاعي أبو مطرف الكوفي له صحبة روى عن النبي وعن أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب سكن الكوفة وكان له سن عالية وشرف في قومه وشهد مع علي صفين ، مات في ربيع الآخر سنة خمس وستين وقيل رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله وحمل رأسه إلى مروان وكان سليمان يوم قتل بن ٩٣ سنة (تهذيب التهذيب ٤ / ١٧٥)

لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد ، فقالوا له : إن النبي صلى ﷺ قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقال: وهل بي جنون)[١] فعلى الإنسان أن يملك نفسه عند الغضب ولا يُطلق لها العنان فتحدث العواقب الوخيمة ، والنتائج السيئة ، ولهذا قال النبي ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[٢]. فما أجمل الحلم والأناة ، فالحلم ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه .

وبعد ذلك كله، كيف العدل في الغضب والرضا ؟

العدل في الغضب والرضى هو أن لا يغيره ما طرأ عليه، عن حاله التي هو عليها وليحافظ على الحال الذي فيه، فإن الغضب والحمية تحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه، وهذا من الجهل الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره، وترك ما يعلم أنه ينفعه؛ لما في نفسه من البغض والمعاداة وقد جبل الإنسان على الغضب على من يزاحمه ويؤذيه، فهذا الصديق رضي الله عنه في حادثة الإفك غضب على مسطح بن أثاثة وأقسم أن لا ينفق عليه وهذا في ميزان الله ليس عدلا لذلك عاتبه بقوله (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٣] .

لقد أمر الله عباده بالعدل في القول والعمل وأن لا يحملهم الغضب على الظلم والجور، وأن لا يحيدوا بسبب العداوة عن العدل والقسط ولو تعلق الأمر بأنفسهم، فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[٤] ، والعدل الذي أراده الله من عباده في حال الرضى هو طاعته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي يريده وبما جاء به رسوله ﷺ ، وأما العدل في الغضب فهو أن لا يحملهم الغضب على الكفر والمعصية والظلم والجور وارتكاب الفواحش، وليتذكروا أن الغضب جمرة من الشيطان يثير بها النفس البشرية لتعتدي وتتجاوز حدود الله .

---

[١] صحيح البخاري ٣ / ١١٩٥ رقم ٣١٠٨
[٢] صحيح البخاري ٥ / ٢٢٦٧ رقم ٥٧٦٣
[٣] سورة النور : الآية ٢٢
[٤] سورة المائدة : الآية ٨

العدل في حال الرضا واجب لأن انعدامه يودي إلى الجور والظلم، وما كاد أخوة يوسف لأخيهم إلا بسبب ما رأوه من ميل أبيهم إليه (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)[١] ، وهكذا حصلت العداوة والبغضاء بين بني الأب بسبب عدم العدل الذي يرونه منه في المعاملة فقط، لأنه لا يمكن لأب أن يفرق في الحب بين بنيه .

وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قوله (أعطاني أبي عطية فقالت له عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ قال فأتى النبي ﷺ فقال إني أعطيت ابن عمرة بنت رواحة عطية وأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال لا قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال فرجع أبي فرد تلك الصدقة)[٢] .

كم من أب ظلم أولاده وجار عليهم بسبب الغضب، وكم من زوج هجر زوجته ظلما وعدوانا ومال إلى الأخرى، ولا شك هذا حرام في دين الإسلام فالنبي ﷺ يقول : (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقة مائل)[٣] ، كم من رجل ارتكب كبيرة بجلب اللعنة لوالديه بسبب الغضب حيث يسب الرجل أبا الرجل فيجيبه بالمثل أو زيادة، يقول النبي ﷺ : (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجلُ والديه، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه، قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه)[٤]

ومن خشية عدم العدل في حال الغضب، وخشية الجور في الحكم أمر الشارعُ القاضيَ بعدم الحكم في هذه الحال فقال ﷺ : (لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)[٥] ، وإن عدم العدل يقود إلى الظلم والجور، والظلم أمر حرمه الله على نفسه وحرمه على العباد فقد أخبر النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أن الله يقول : (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[٦] .

---

[١] سورة يوسف : الآيات ٨ ـ ٩
[٢] صحيح البخاري (٢ / ٩١٤) رقم ٢٤٤٧ ، صحيح مسلم (٣ / ١٢٤٢) رقم ١٦٢٣
[٣] سنن أبي داود (٢ / ٢٤٢) رقم ٢١٣٣
[٤] صحيح البخاري (٥ / ٢٢٢٨) رقم ٥٦٢٨
[٥] سنن أبي داود (٣ / ٣٠٢) رقم ٣٥٨٩
[٦] صحيح مسلم (٤ / ١٩٩٤) رقم ٢٥٧٧

إن أهل العدل في الغضب والرضا هم (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)[١] ، وهم أيضا الذين لم يمنعهم العسر من المبادرة في الإنفاق فكيف وهم أهل يسر (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٢] ، فشتان بينهم وبين الذي لم يعدل في عسره ويسره فظلم نفسه، وهو الذي (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)[٣] . اللهم ارزقنا العدل في أقوالنا وفي أعمالنا في عسرنا وفي يسرنا .

---

[١] سورة الشورى : ألآية ٣٧
[٢] سورة آل عمران : الآية ١٣٤
[٣] سورة المعارج : الآيات ٢٠ ـ ٢١

المطلب الثاني

القصد في الفقر والغنى

القصد : هو الوسط بين الطرفين، والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، و القصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر يقال فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد، والقصد أيضا العدل[١] .

وعلى أي معنى من هذه المعاني يحمل قول النبي ﷺ فهو سبيل نجاة في الدنيا والآخرة، فبمعناه الأول (الوسطية) فالواجب على صاحب الغنى أن يتواضع لله شكرا على نعمائه واعترافا أن المتوحد بغناه هو الله، وأن لا يودي به غناه إلى التعالي والتجبر والطغيان، وأن يوقن أنه مهما بلغ من الغنى فهو فقير دائم إلى ربه سبحانه القائل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[٢] ، وأن المال الذي بين يديه هو مال الله وهو مستخلف عليه مخول فيه مبتلى به في هذه الحياة، وأن يظهر الفقير بمظهر الغِنى وهو يعاني من شدة الفقر تعففا من سؤال الناس إلحافا ، كما قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [٣]، وهم الذين افتقروا من عجزهم عن الكسب أو من اختلال اقتصاد المجتمع الذي يعيشون فيه .

أما الفقر الناتج عن الكسل والبلادة وقلة الكرامة والطمع فيما فى أيدى الآخرين دون وجه حق، والعيش على المسألة تكسبا وتكثرا فهذا من أكل السحت الحرام، يقول النبي ﷺ (من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا، فليستقلّ أو ليستكثر)[٤] ، فبسبب عدم إتباع هذا الصنف من الناس سبيل القصد بالأخذ بالأسباب بعد التوكل على الله، وأنزلوا حاجتهم وفاقتهم بالناس فهم في نظر دائم وحاجة مستمرة إلى ما في أيدي الناس فيستمروا بالسؤال، حتى يبلغ الأمر بهم إلى إذلال أنفسهم في الدنيا وسيذلهم الله يوم القيامة، يقول النبي ﷺ (ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)[٥] .

---

[١] لسان العرب : ابن منظور ٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤
[٢] سورة فاطر : الآية ١٥
[٣] سورة البقرة : الآية ٢٧٣
[٤] صحيح مسلم (٢ / ٧٢٠ ٩ رقم ١٠٤١
[٥] صحيح البخاري (٢ / ٥٣٦) رقم ١٤٠٥

فالغنى الحقيقي هو غني النفس وعلو الإيمان كما ثبت في السنة أن النبِي ﷺ قَال : (ليس الْغِنَى عن كَثْرة الْعَرَض ، ولكن الْغِنى غِنَى النفسِ)[١] ، ومن القصد أن لا يمنعه غنى النفس عن الأخذ بالأسباب التي شرعها الله لعباده وأمرهم بسلوكها (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[٢] ، ومن السنة قول النبي ﷺ (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يدهن وكان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده)[٣] ، ومما ينبغي على المسلم الفقير أن يسعى طلبا للغنى والتقوي على طاعة الله، وحفظ عزة النفس وكرامتها، وهذا ما حض الأمة عليه نبيها ﷺ بقوله : (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[٤]، يقول الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث : (وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو أمتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل، وأما قوله خير له فليست بمعنى أفعل التفضيل إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الإكتساب والأصح عند الشافعية أن سؤال من هذا حاله حرام ويحتمل أن يكون المراد بالخير فيه بحسب اعتقاد السائل وتسميته الذي يعطاه خيرا وهو في الحقيقة شر)[٥]

ومنه أن لا يكون لسان حال الغني (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)[٦] ، فلا ينبغي له أن يفخر بغناه فيطغى حيث يعدُّ ذلك كرامة له من الله وربما قال (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)[٧] ، فينسيه طغيانه أن هذا المال فتنة وابتلاء، وأن الكرامة الحقيقية هي بتقوى الله، ولا لسان حال الفقير (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ

---

[١] صحيح البخاري (٥ / ٢٣٦٨) رقم ٦٠٨١ ، صحيح مسلم (٢ / ٧٢٦) رقم ١٠٥١
[٢] سورة الملك : الآية ١٥
[٣] صحيح البخاري (٢ / ٧٣٠) رقم ١٩٦٦
[٤] المصدر السابق (٢ / ٥٣٥) رقم ١٤٠٢
[٥] فتح الباري : شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت (٣ / ٣٣٦)
[٦] سورة الفجر : الآية ١٥
[٧] سورة الكهف : الآية ٣٦

عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)[١] فلا يجعله الفقرُ محزونا مهموما، فيحمله ما يعانيه من شدة الجوع والعري وكثرة التردد في طلب القوت على نسيان ما أُمر به من الواجبات والتكاليف الشرعية، ونسيان الشكر لله على ما وهبه من نعمة العافية والسلامة والصحة والولد، وغيرها من النعم التي لا تحصى، وسبيل الفقير والغني في تذكر الشكر قد بينه النبي ﷺ وهو النظر إلى من هو أدنى منهم في الرزق، بقوله : (أنظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فأنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم)[٢]

يقول المباركفوري في التحفة في شرح الحديث : (قوله : (انظروا إلى من هو أسفل منكم) أي في أمور الدنيا (ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) فيها (فإنه) أي فالنظر إلى من هو أسفل لا إلى من هو فوق (أجدر) أي أحرى (أن لا تزدروا) أي بأن لا تحتقروا، والازدراء الاحتقار فكان أصله الازتراء فأبدلت التاء بالدال (نعمة الله عليكم) فإن المرء إذا نظر إلى من فُضّل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله فكان سببا لمقته وإذا نظر للدون شكر النعمة وتواضع وحمد فينبغي للعبد أن لا ينظر إلى تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها)[٣]

فالفقر والغنى أمران مهلكان ما لم ينضبطا بضابط الشرع، ومن كلا الأمرين يحذر النبي ﷺ الأمة ويدعوها إلى المبادرة بالعمل الصالح : (بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا ...)[٤] ، فإذا منّ الله على العبد بغنى لا يطغيه وبفقر لا ينسيه وبقي على حالة القصد والتوسط شاكرا لله على غناه وذاكرا لله في حال فقره فتلك سعادة الدنيا وتلك الحياة الطيبة .

وفي جانب الكسب فالواجب على العبد أن يكون أمره قصدا وعدلا في حال فقره وغناه، فلا يكون الفقر ذريعة يحتمي بها لسلوك مسالك الكسب الحرام، لأن همه الأول توفير أسباب الترف ووسائل الإستمتاع بملذات الحياة، من مسكن واسع، ومركب فاره، وملبس فاخر يتبختر به في مشيته، ليكون صاحب مكانة بين أقرانه وفي مجتمعه، ولا الغنى سببا يركبه الغنى لزيادة الكسب ومضاعفة ما جمع من أموال بسلوك المسالك التي حرمتها الشريعة الغراء، كأكل الربا والرشا والغش.

---

[١] سورة الفجر : الآية ١٦
[٢] سنن الترمذي (٤ / ٦٦٥) رقم ٢٥١٣
[٣] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ابو العلا المباركفوري، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ت) ٧ / ١٨٢
[٤] سنن الترمذي (٤ / ٥٥٢) رقم ٢٣٠٦

أما في الإنفاق فقد أمر الشارع الحكيم العباد بالقصد في الأنفاق في حال العسر وفي حال اليسر، وحذر من التبذير الإسراف ، فقال تعالى مثنيا على عباده (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)[١] ، كما بين النبي ﷺ السبل الصحيحة في الإنفاق من أجل أن لا يهدر المال الذي هو من أسباب ديمومة الحياة (أفضل دينار: دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله، قال أبو قلابة بدأ بالعيال)[٢] ، وهذا يدل على أن المال يجب أن ينفق في محله لتحقيق مصلحة من مصالح العباد، وتوفير وسائل الحياة التي أخرجها الله لعباده (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[٣] ، ولأن هدر المال بغير حق أمر يكرهه الله من عباده، كما أخبر النبي ﷺ (إن الله يكره لكم ثلاثا، قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[٤] .

إن القصد في الإنفاق بينه ربنا سبحانه بقوله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)[٥] ، فلا ينبغي أن يمنعه بخله من الإنفاق وكأن يده ربطت إلى عنقه لا يستطيع بسطها في صدقة ولا زكاة ولا في باب من أبواب البر، ولا يطلق ليده عنانها في الإنفاق سواء في طاعة الله أو في معصيته، حتى وكأنها من شده بسطها لا تمسك شيئا فتكون نهايته تضييع نفسه ومن يعول وهذا أمر مخالف لمقتضى الشريعة، لأن ألإنفاق على العيال واجب في ذمة الولي وتضييعهم خيانة للأمانة، من أجل ذلك رد النبي ﷺ تبرع سعد بن أبي وقاص بجميع ماله، واكتفى منه بالثلث وقال له : (الثلث والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير لهم من أن تتركهم عالة يتكففون الناس)[٦] .

---

[١] سورة الفرقان : الآية ٦٧
[٢] سنن الترمذي (٤ / ٣٤٤) رقم ١٩٦٦، وقال : هذا حديث حسن صحيح
[٣] سورة الأعراف : الآية ٣١
[٤] صحيح البخاري (٢ / ٥٣٧) رقم ١٤٠٧
[٥] سورة الإسراء : الآية ٢٩
[٦] صحيح البخاري (٣ / ١٠٠٦) رقم ٢٥٩١

المطلب الثالث

خشية الله في السر والعلانية

الخشية: الخوف، خشي الرجل يخشى خشية، أي خاف[١] .

وخشية الله في السر والعلانية من السبل الموصلة للنجاة من سخط الله والعقوبة يوم القيامة، ذلك أن الخوف إذا انعقد في القلب حقيقة صار حائلا بين العبد وبين كل محذور، وذلك هو سبيل النجاة والأمن يوم القيامة، وبيان ذلك فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه : (يقول الله وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)[٢] .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في ذلك ما معناه أن خشية الله عزّ وجل هي أهم علاج لمريض الهوى، فصاحب الهوى يحتاج معه إلى الخوف الذي ينهى النفس عن الهوى، وإلى الخشية المانعة من اتباع الهوى والإنجذاب وراء المحبوبات، إذ هي سبب لصلاح حال الإنسان[٣] .

لا شك إن خشية الله هي مقياس العلم والتقوى، فكلما كان العبد عالما بالله كان أكثر خشية منه، لذلك كان الملائكة من أشد الخلائق خشية لربهم، فقد وصف النبي ﷺ حال جبريل عليه السلام ، بقوله : (مررت بجبريل ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وهو كالحلس البالي من خشية الله)[٤]، وهم الذين يقول الله عنهم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)[٥] ، الملائكة الذين لا يعصون ربهم، ويفعلون ما يأمرهم به، وهم الذين يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون ومع ذلك كله هم من خشية ربهم مشفقون، وبعد الملائكة في العلم والخشية هم رسل الله وأنبيائه الذين يقول فيهم ربهم (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)[٦] أما سائر الخلق، فخشية الله هي من شيم العلماء، لأنهم أكثر الناس علما فازدادت خشيتهم لله،

---

[١] لسان العرب : ابن منظور ١٤ / ٢٢٨

[٢] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان البستي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٢ ـ ١٤١٤ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط (٢ / ٤٠٦) رقم ٦٤٠

[٣] ينظر كتاب الزهد والورع والعبادة : ابن تيمية ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ـ ١٤٠٧ ، تحقيق : حماد سلامة محمد عويضة ١ / ٣٩

[٤] المعجم الأوسط : الطبراني ٥ / ٦٤ رقم ٤٦٧٩

[٥] سورة الأنبياء : الآية ٢٨

[٦] سورة الأحزاب : الآية ٣٩

يقول ربنا سبحانه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[١]، وأصحاب النبي ﷺ أكثر الناس علما فكانوا أكثرهم خشية، حيث رباهم على ذلك، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : (كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار به جهلاً)[٢] وقوله: (ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية)[٣] وهذا يعني أن خشية الله صفة لصيقة بأهل العلم الربَّانيين، الذين يفضون لله جميع أمورهم، ويتعلقون بحبال الرجاء والخشية منه، ويراقبونه في ما دقَّ وكبر، جليلاً كان أو حقيراً، لا يحيدون عنها ولا يتحايلون عليها .

وخشية الله من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[٤] ، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يا رسول الله، الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يزنون، ويسرقون، ويشربون الخمر؟ قال : لا يا ابنة الصديق، إنهم هم الذين يصومون، ويصلون، ويحجون، ولكن يخافون ألا يقبل منهم)[٥] ، هؤلاء عباد الله المخلصين هم : (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ)[٦]

وروى أبو نعيم، أن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه مر بقومٍ يتمارون في الدينِ، فقال لهم : (أما علِمتم أن لله عبادا أصممتهم خشية الله من غير صممٍ ولا بكمٍ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء؛ العلماء بأيامِ اللهِ، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت عقولهم وانكسرتْ قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى اللهِ بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع المفرطين، وأنهم لأكياس أقوياء، ومع الضالين والخطائِين وإنهم لأبرار بُرءاء، ألا إنهم لا يستكثِرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليلِ، ولا يدِلون عليه بأعمالهم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفِقون، وجِلون خائفون)[٧] ،

خشية الله هي الأمر والوصية التي أمر الله بها عبادة، وأولهم نبيه ﷺ حيث قال له (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)[٨] ، وقال لجميع خلقه : (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[١] ،

---

[١] سورة فاطر : الآية ٢٨
[٢] المعجم الكبير : الطبراني، مكتبة الزهراء ـ الموصل، ط٢ ـ ١٤٠٤ ، تحقيق : حمدي السلفي ٩ / ١٨٩
[٣] الزهد : أحمد بن حنبل ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ط ٢ ـ ١٤٠٨، تحقيق : عبد الغني حامد ١ / ١٥٨
[٤] سورة المؤمنون : الآيات ٦٠ ـ ٦١
[٥] سنن الترمذي ٥ / ٣٢٧ رقم ٣١٧٥
[٦] سورة الأنبياء : الآية ٤٩
[٧] حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ ـ ١٤٠٥ (١ / ٣٢٥)
[٨] سورة الأحزاب : الآية ٣٧

بل أمر سبحانه عباده أن لا يقدموا خشية العباد على خشية الله فقال : (أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٢] .

وبمناسبة الكلام عن خشية العباد أود أن أبين أن هذه الخشية نوعان :

أولهما : خشية مخرجة من الملة لأنهه تودي بصاحبها إلى الشرك الأكبر وهي خشيتهم من جلب السوء، أو دفع المنافع، وهي خشية معنوية معقودة في القلب على الدوام في حضرتهم وغيبتهم .

الثانية : خشية مادية مباحة لا تخرج من الملة، وهي لا توجد إلا بوجود سببها وتزول بزواله، كالخوف من العدو، أو من دابة ضارة، أو حيوان مفترس .

خشية الله في السر والعلانية سبيل للنجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، لأنها تحول بينه وبين الموبقات المهلكات، فهذا رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فمنعته خشية الله من ارتكاب المعصية، فقال لها : إني أخاف الله، فهو مكرم يوم القيامة تحت ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، هل يستوي هو ومن ينفق أمواله بحثا عن الفاحشة والرذيلة، كما وتدفع بالعبد إلى المبادرة بالصالحات، (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)[٣] ، العلم أورثه الخشية، والخشية دفعته إلى الطاعة، فقام طوال الليل راكعا وساجدا حذرا وخوفا من يوم الوقوف بين يدي ربه، ورجل جلس يتلو كتاب الله ويتدبر آياته ويذكر الله ويتذكر عظمته، فملئ قلبه خوفا وخشية من الله وبكت عينه نتيجة هذه الخشية، فأكرم الله هذه العين أن لا تمسها النار يوم القيامة، يقول النبي ﷺ : (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله)[٤] ، فإذا كانت الخشية سبيل للنجاة فكيف تتحقق ؟

يقول الفقيه أبو الليث السمرقندي : علامة خوف الله تتبين في سبعة أشياء [٥]:

١ـ في اللسان، فيمتنع اللسان من الكذب، والغيبة، وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن، ومذاكرة العلم .

٢ـ في البطن، فلا يدخل بطنه إلا طيبا حلالا، ويأكل من الحلال مقدار حاجته .

---

[١] سورة المائدة : الآية ٤٤
[٢] سورة التوبة : الآية ١٣
[٣] سورة الزمر : الآية ٩
[٤] سنن الترمذي ٤ / ١٧٥ رقم ١٦٣٩
[٥] تنبيه الغافلين : الفقيه ابو الليث السمرقندي ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦

٣ـ في البصر، فلا ينظر إلى الحرام، ولا إلى الدنيا بعين الرغبة، وإنما يكون نظره على وجه العبرة .

٤ـ في اليد، فلا يمد يده إلى الحرام، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل .

٥ـ في القدمين ، فلا يمشي في معصية الله .

٦ـ في القلب، فيخرج منه العداوة والبغضاء، وحسد الإخوان، ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين .

٧ـ أن يكون خالصا في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله، ويخاف الرياء والنفاق .

ولما كانت خشية الله عز و جل رأس كل خير في المشهد والمغيب سأل النبي ﷺ خشية ربه في الغيب والشهادة في دعائه : (.... اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ...)[١] .

نعم لقد كانت أخبار الصحابة رضي الله عنهم تنبئ بأنهم أشد العباد خوفا وخشية من الله سبحانه فقد روى البيهقي في الشعب : (مر أبو بكر رضي الله عنه على طير قد وقع على شجرة فقال: طوبى لك يا طير تطير فتقع على الشجر ثم تأكل من الثمر ثم تطير ليس عليك حساب ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق فمر عليّ بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم إزدردني ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشرا)[٢] .

وقال صهيب الرومي رضي الله عنه لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا إلا لصهيب إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه[٣]

وروى أبو نعيم أن عمر بن عبد العزيز بكى فبكت معه زوجته فاطمة فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء فلما تجلت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت قال ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه[٤] .

اللهم ارزقنا خشيتك في سرنا وعلانيتنا

---

[١] المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري ١ / ٧٠٥ رقم ١٩٢٣

[٢] شعب الإيمان : البيهقي ١ / ٤٨٥

[٣] ينظر تفسير ابن كثير ٢ / ٢١٣

[٤] حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ٥ / ٢٦٩

الخاتمة

بعد هذا العرض والمناقشة لبعض المفردات الواردة في حديث النبي ﷺ موضوع البحث، يتبين لكل ذي بصيرة أن الإنسان في هذه الدنيا في دار ابتلاء وامتحان، وقد أحاطت به عوامل وأسباب مهلكة، بينها ربنا سبحانه على لسان نبيه ﷺ وحذر منها لما لها من أثر سيء على المسلم في أمر دينه ودنياه، منها، البخل والشح الذي يحول بين العباد وبين أسباب المنفعة لهم ولغيرهم، واتباع الهوى الذي هو أصل كل رذيلة في المجتمع، والعجب بالنفس والكبر الذي يودي بالعبد إلى التعالي على خلق الله ومنازعة الله في صفة لا تليق لمخلوق مهما بلغت مرتبته وعلت منزلته .

وفي مقابل ذلك بين عوامل الخير وأسباب النجاة ودعا العباد إلى التحلي والتمسك بها، وأهمها العدل الذي قامت به السماوات والأرض والذي لا ينبغي أن تأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن لا يختلف أمر المسلم فيه على جميع أحواله، والقصد في الفقر والغنى، صبرا على الفقر وشكرا على الغنى والإعتراف بالفقر الدائم من الغني والفقير إلى الغني الأوحد مالك الملك سبحانه، وجماع ذلك كله هو خشية الله في السر والعلانية لتكون هذه الخشية حائلا بين العبد وبين معصية الله، وفي ذات الوقت حافزا للمبادرة بالصالحات وفعل الخيرات .

لقد تم من خلال مناقشة مفردات الحديث التوصل إلى النتائج التالية :

١ـ إن البخل والشح من أسباب تجافي العبد عن السعادة في الدنيا، وعن دار السعادة الأبدية في الآخرة .

٢ـ الهوى مطية جامحة لا بد لها من فارس مقدام يستحكم زمامها ليسيرها في السبيل القويم لتحقيق مناط الإيمان الحق (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[١] .

٣ـ إن الكِبْر والعُجْبَ بالنفس يوديان بالعبد إلى الضعة وهوانه على الله وخلقه، لأن المعجب بنفسه منازع لله في صفاته ومحارب له، ومن حارب الله لا محالة خاسرٌ .

٤ـ كما أسباب الهلكة كثيرة، وسائل النجاة لا تحصى، أعلاها خشية الله في السر والعلن لبلوغ مرتبة الإحسان، ورديف ذلك العدل في كل الأمور، مع الله والخلق والنفس، واجتناب الغضب طريق للعز، وابتعاد عن الندم .

---

[١] قال الحافظ ابن حجر في الفتح : أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين .(فتح الباري ١٣ / ٢٨٩) وقال فيه النووي : حديث حسن صحيح (جامع العلوم والحكم ٥٥٢)

٥ـ الفقر الحق هو ما كان إلى الله ورحمته، وأن الغنى الحق هو الإعتراف بنعم الله على العبد والقيام بأداء شكرها .

ختاما فإني أوصي نفسي أولا ومن يقرأ هذه السطور بتقوى الله وكثرة مخافته ولزوم أوامره واجتناب نواهيه، والعلم بالأسباب المهلكة لاجتنابها، والبحث عن وسائل النجاة والتمسك بها، فإن الضال من عمل بلا علم، ومن عرف وانحرف فقد غضب الله عليه .

أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى فعل الخيرات وعمل الصالحات، وأن يجنبنا المنكرات، ويبعد عنا المهلكات، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك

المصادر والمراجع

أولها وأجلها : القرآن الكريم

- الإبانة : ابن بطة العكبري :دار الراية ، الرياض ، ط٢ ـ ١٤١٨ ، تحقيق : د عبد الله عثمان الأثيوبي
- اعتقاد أهل السنة : ابو القاسم اللالكائي هبة الله بن الحسين : دار طيبة ، الرياض ط ـ ١٤٠٢ ، تحقيق : د أحمد سعد حمدان
- اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، وزارة الاوقاف ، السعودية ، ط١ ـ ١٤٢٤ ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ابو العلا المباركفوري، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ت)
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، ط ٢ ـ ١٤١٨
- تنبيه الغافلين: نصر بن محمد الحنفي، الفقيه أبو الليث السمرقندي، مكتبة الصفا ـ القاهرة، ط٢ـ ١٤٢٢، تحقيق: احمد بن شعبان بن أحمد
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : الفيروز آبادي : دار الكتب العلمية ـ بيروت (د ت)
- التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤١٠ تحقيق : محمد رضوان الداية
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت ، ط ـ ١٤٠٥
- الجامع الصحيح المختصر : محمد بن اسماعيل البخاري : دار ابن كثير ـ اليمامة ، بيروت ، ط٣ ـ ١٤٠٧ ، تحقيق : مصطفى ديب البغا
- جامع العلوم والحكم : ابن رجب الحنبلي : المكتبة التوفيقية ، القاهرة، ط ١٤٢٠ ، تحقيق : عماد زكي البارودي.
- الجامع لأحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة (د . ت)
- حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ ـ ١٤٠٥
- الخلق الكامل : محمد أحمد جاد المولى، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د ت)

- ذم الهوى: ابو الفرج ابن الجوزي : ط ١٩٦٢ ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد
- الروض الداني (المعجم الصغير) : ابو القاسم الطبراني : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد شكور محمود
- الزهد : أحمد بن حنبل ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ط ٢ ـ ١٤٠٨، تحقيق : عبد الغني حامد
- الزهد الكبير : البيهقي: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، ط ٣ ـ ١٩٩٦، تحقيق : احمد عامر حيدر
- الزهد والورع والعبادة : ابن تيمية ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ـ ١٤٠٧ ، تحقيق : حماد سلامة محمد عويضة
- سنن ابي داود : سليمان بن الأشعث ، دار الفكر ـ بيروت (د . ت) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
- سنن الترمذي : أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر
- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٧ ، تحقبق : فواز أحمد زمرلي
- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٩ ـ ١٤١٣، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي
- شعب الإيمان : احمد بن الحسين البيهقي : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ١٤١٠ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان البستي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٢ ـ ١٤١٤ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط
- صحيح مسلم : تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت
- صحيح مسلم بشرح النووي : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ـ ١٣٩٢
- فتح الباري: شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت
- الفوائد : ابن القيم ، دار الكنب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ـ ١٣٩٣
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر ـ بيروت، ط ١(د. ت)

- المستدرك على الصحيحين : ابو عبد الله الحاكم ،دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤١١ تحقيق: مصطفى عبد القادر
- المجتبى من السنن : أحمد بن شعيب النسائي : تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ، ط ٢ ـ ١٤٠٦
- المعجم الأوسط :الطبراني ، دار الحرمين ـ القاهرة ، ط ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله
- معجم الفروق اللغوية : ابو الهلال العسكري :تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ـ ١٤١٢
- المعجم الكبير : الطبراني، مكتبة الزهراء ـ الموصل، ط٢ ـ ١٤٠٤ ، تحقيق : حمدي السلفي
- المقاصد الحسنة : ابو الخير السخاوي : دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٥

Abstract

After this inter view and discussion for some vocabularies that appeared in the prophet speech ((Allah's blessing be on him)) which is the topic of this research, it is clear that human beings in this life are under great pressure and exam .

There are many factors that God has warned from them through his prophet for their bad affects on the Muslims, for example, misery which is a great obstacle in the interest way for them and for the others, also following pride and prejudice which are the source of every vice in the society, love of him self lead man be haughty even with his God .

In opposite of this, there are benevolent factors lead man to be on the safe side, justice which stood on it heaven and earth.